مجلة كلية العلوم الإسلامية
المجلد السابع العدد الثالث عشر 1434هـ - 2013م

جماليات وصف الجنة والنار في الحديث النبوي الشريف
- دراسة أسلوبية موازنة -

أ.م.د.نبهان حسون السعدون(*)
د.يوسف سليمان الطحان(**)

ملخص البحث

❖ يُمثل الحديث النبوي الشريف نصاً أدبياً في غاية الروعة من حيث جمال الألفاظ وتنوع مستويات التعبير وتعدد الصور والتراكيب المتنوعة في تقديم الموضوع ولاسيما ما يتعلق بيوم القيامة من الثواب والعقاب (الجنة والنار)؛ لذا جاء اختيارنا لموضوع هذا البحث لتلمس جماليات الوصف في التعبير عن هذين المكانين بدراسة أسلوبية موازنة لنصوص الحديث النبوي الشريف من كتب صحاح الحديث: صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي ومسند أحمد.

❖ قام البحث على مدخل وثلاثة مباحث. تضمن المدخل محورين: الأول لتحديد مفاهيم مصطلحات عنوان البحث وهي (الجمالية/ الوصف/ الأسلوبية) في حين خص المحور الثاني لتحديد موضوعات عنوان البحث وهي (الجنة/ النار/ الحديث النبوي الشريف) لوضع التصور الذي نقيم عليه الدراسة.

❖ جاء المبحث الأول لدراسة (المستوى الدلالي) من حيث دلالة الصور البيانية المتمثلة بالتشبيه والاستعارة والكناية، ومن حيث دلالة الصور البديعية

(*) أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية،كلية التربية الأساسية،جامعة الموصل.
(**) مدرس في قسم التربية الإسلامية،كلية التربية الأساسية،جامعة الموصل.

المتمثلة بالمقابلة والطباق والجناس، في حين خـــــــص المبـــــحث الثاني لدراسة (المستوى التركيبي) من حيث تركيب الأفعال زمنيتها ومستوياتها، ومن حيث تركيب الجمل التوليدية والتحويلية على مستوى الاسمية والفعلية. أما المبحث الثالث فتضمن دراسة (المستوى الصوتي) من حيث التكرار والتجمع الصوتي عن طريق الحروف والكلمات.

Aesthetics of Describing the Paradise and the Hell in the noble prophetic Traditions (Hadith): A Contrastive Stylistic Study

Asst .Pro .Dr. Nabhan Hasun AL – Saedoon
Dr. Yousif Suleiman AL – Tahan

ABSTRACT

The prophetic Hadith is an at most magnificent literary genre with respect to its beautiful utterances, diversity of expressions, different figures of speech and varied textnnes as far as the presenting of subject matter is concerned; particularly those related to the Day of Resurrection, viz, the Recompense and punishment (the Paradise and the Hell). Hence, the topic is chosen to scrutinize the aesthetics of describing those places by a contrastive stylistic study in accordance with the noble prophetic hadith in the authentic books of Hadith. Namely, AL – Bukari and Muslim, AL – Turimitn's Sunnas and the Sciences of Islamic traditions of Imam Ahmed.

The paper includes an introduction and three sections. The introduction contains two themes: the

first theme is devoted to identifying the concepts of the paper's terms under discussion, principally. Aesthetics expressiveness and stylistics. Whereas, the second one is attempted to determining the topics of the paper, viz, the paradise, the Hell and the noble prophetic Hadith, to set up the framework that evaluates the study.

Section one is intended to investigate (the semantic level) in terms of studying the significance of the schematic fignnees of speech, namely, simile, metaphor, metonymy and studying the magnificent value of tropes, viz, opposition, antitheses and analogy. Section tow, on the other hand, is dedicated to investigate the syntactic level in the sense of the structure of verbs, mainly, tense and levels. It also studying the syntactic structure of the generative and transformational sentences of the nominal and verbal groups. Lastly, section three revolves around discussing the phonological level with respect to the recurring, polysyndetic construction of letters and words respectively.

مدخل إلى عنوان البحث

1 – تحديد مفاهيم مصطلحات عنوان البحث

آ – الجمالية

يكون الجمال في الشكل والهيئة وفي الأفعال والتصرفات أي في الخَلق والخُلق، فهو ما "يختص الإنسان به في نفسه أو في بدنه أو فعله، والثاني ما

يصل منه إلى غيره" [1] أي إن الجمال حسي ومعنوي. ويقول رسول الله (ﷺ): (أن الله جميل يحب الجمال)[2] أي حسن أفعاله وكمال أوصافه من خلال الجمال المعنوي (معاني الأسماء والصفات) والجمال المادي الحسي (العالم المطلق المعبر عنه بالمخلوقات)

لقد قدم النقاد والبلاغيون العرب نظرات جمالية في الشعر إذ تلمسوا السمات الجمالية فتحدثوا عن التزيين والتحسين والتهذيب والتنقيح والانتقاء والانتحاب وعذوبة اللفظ ورشاقة المعنى، وعليه فقد قدم العرب نظرات جمالية بحكم ظروف حياتهم وتجاربهم العامة والخاصة[3]

تمثل الجمالية عملية البحث عن الجمال في علاقة تثير الشعور بالارتياح بين ثلاثة عوامل هي: الموضوع الخارجي المتناسق، والبيئة المحيطة، والنفس المدركة[4]. فالجمال شعور بالقيم الذاتية والموضوعية وإدراكها فيما يثير إحساساً بالانتظام والتناغم والكمال إذ أن الجمال قيمة نابعة من طبيعة الشيء نشعر بها وندركها ونصدر الأحكام عليها، ويرتبط هذا الشعور بالحق والخير.

ب – الوصف

الوصف كما عرفه قدامه بن جعفر: "ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات"[5] ويرى ابن رشيق القيرواني بأن: "أحسن الوصف ما يتصف به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع" [6]. وعليه فالوصف لون من ألوان التصوير إذ انه أسلوب إنشائي يقدم المظاهر الحسية للأشياء.

قد يشكل الوصف "الخطاب الذي ينصب على ما هو جغرافي أو مكاني أو شيئي أو مظهري سواءً ذلك ينصب على الداخل أو الخارج" [7] ويقوم الوصف بالوقوف عند الملامح الخارجية للموصوف الواحد أو الموضوع الوصفي. وينشأ عن ذلك عدد غير محدد من الموضوعات التي تقبل الوصف [8] ويقدم الوصف جملة من الأشياء ينبغي تصور دلالتها بصرياً كما انه يسمِ كل ما هو موجود

بطابع التميز والتفرد[9] ويمكن للوصف أن يري "الأشياء أكانت موسيقية أم لونية، ويحدد الواقع ويكشف الرابط بين الشخص والطبيعة" [10]. وعليه يعد الوصف فاعلية بصرية ومشهديه في الوقت نفسه، ويرتبط بفن الرسم فإذا كان الرسم قادراً على تقديم الأشكال والألوان والظلال، فإن اللغة لا تقل عنه شأناً في تقديم وصف يقدم المظاهر الحسية للأشياء.

ج – الأسلوبية:

الأسلوب لغة من الجذر (س. ل. ب): "ويقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب: الطريق والوجه والمذهب، ويُقال: انتم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب ، والأسلوب: الطريق تأخذ فيه، والأسلوب: الفن، يُقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه"[11]

لقد عرف التراث العربي الظاهرة الأسلوبية فدرسها ضمن الدرس البلاغي لأن الدرس اللغوي واللسانيات كان سابقاً على الدرس البلاغي في التراث العربي[12] إذ انطلق العرب في درسهم اللغوي من النص تنظيراً وممارسة، فجاءت علومهم في هذا الميدان تمثيلاً حضارياً له. وكانت نظرتهم للأسلوب في جملة تلك العلوم [13] وعليه فمفهوم الأسلوب قديم يظهر أكثر ارتباطاً بالبلاغة على أساس أن الأسلوب جزء من صفة الإقناع [14] ويُعرف الأسلوب بأنه نظام تؤدي فيه اللغة وظائف مخصوصة[15] أي دراسة للتعبير اللساني[16]

تمثل الأسلوبية صلة اللسانيات بالأدب ونقده وبها تنتقل من دراسة الجملة لغة إلى دراسة اللغة نصاً فخطاباً فأجناساً لذا كانت الأسلوبية " جسر اللسانيات إلى تاريخ الأدب"[17] وبذلك تكون الأسلوبية علماً: "يدرس اللغة ضمن الخطاب، ولكنها أيضاً علم يدرس الخطاب موزعاً على مبدأ هوية الأجناس، ولذا كان موضوع هذا العلم متعددة المستويات مختلف المشارب والاهتمامات متنوع

الأهداف والاتجاهات، وما دامت اللغة ليست حكراً على ميدان اتصالي دون آخر، فإن موضوع علم الأسلوبية ليس حكراً هو أيضاً على ميدان تعبيري دون آخر"[18]

تحتاج الأسلوبية إلى رؤية شمولية لدراسة النص بدءاً من أصغر وحدة (الصوت) ثم (التركيب) ومن ثم (الدلالة) أو البدء بالوحدة الكلية (الدلالة) وصولاً إلى (التركيب) ثم إلى أصغر وحدة (الصوت)

2 – تحديد موضوعات عنوان البحث

آ – الجنة

الجنة في اللغة "البستان" [19]، أما الجنة في الاصطلاح فهي: "الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين"[20] وإنما سميت الجنة بهذا الاسم، لأنها ثواب أدخره الله تعالى لأوليائه وأهل طاعته وهو مستور عنهم [21] وعليه يستلزم أن يكون الشجر في الجنة متكاثفاً مظللاً بالتفاف أغصانه لأن اللفظ دائر على معنى الستر.

ب – النار

تعني النار في الاصطلاح مكان العذاب الخالد الذي أعده الله تعالى للعباد العاصين والخارجين عن النهج القويم جزاء كفرهم وتكبرهم وعصيانهم. وعليه فهي "الاسم العام المتناول لتلك الديار وما اشتملت عليه من أنواع العذاب والشقاء والحزن والغم"[22]

ج – الحديث النبوي الشريف

يقصد بالحديث: "اسم من التحديث وهو الإخبار، ثم سمي به قول أو فعل أو تقرير نسب إلى النبي ﷺ أو صفة اتصف بها النبي ﷺ"[23] ومعنى الإخبار في وصف الحديث كان معروفاً للعرب في الجاهلية منذ كانوا يطلقون على أيامهم المشهورة اسم الأحاديث[24] وكيفما نقلب مادة الحديث نجد معنى الإخبار إذ يأتي

معنى الحديث للجدة فأطلق العلماء على ما يقابل القديم وهم يريدون بالقديم كتاب الله تعالى، وبالجديد أو بالحديث ما أضيف إلى رسول الله [25] وعليه فالمراد بالحديث في عرف الشرع "ما أضيف إلى النبي ﷺ وكأنه أريد به مقابلة القرآن لأنه قديم" [26] والنبي ﷺ سمى بنفسه قوله حديثاً، وكاد بهذه التسمية يميز ما أُضيف إليه عما عداه حتى كأنه وضع الأصول لما اصطلحوا فيما بعد على تسميته بالحديث إذ جاء أبو هريرة (ﷺ) يسأل محمداً رسول الله ﷺ عن أسعد الناس بشفاعته يوم القيامة، فكان جوابه عليه الصلاة والسلام: "أنه أعلم أن لن يسأله عن هذا الحديث أحد قبل أبي هريرة لحرصه على طلب الحديث"[27]

يمثل الحديث النبوي الشريف: "ثروة في عالم الأدب والعلم، وتفخر بها الإنسانية على مدى الزمن، وكان الحديث المعول الذي قضى على وحي العلامة وسجع الكهان، وكان الأداة لخلق أغراض جديدة في عالم النثر والشعر عبر أغراض الجاهلية ومثلها" [28] لأن رسول الله ﷺ أوتي جوامع الكلام وفواتحه وجمال الأسلوب الأدبي والخيال الرائع والتصوير الدقيق الذي يُظهر المعنوي في صوره المحسوس، والمحسوس في صورة المعنوي.

المبحث الأول

المستوى الدلالي

يُعنى علم الدلالة بدراسة المعنى وهو فرع من فروع علم اللغة يتناول نظرية المعنى[29] لأن اللغة بحد ذاتها متراكبات دلالية تتجلى عادة في ألفاظ تنتج من خلاله النص بفعل الشحنات الدلالية التي تكشف عن المعنى الذي يقع وراء هذه الدلالات.

1 – دلالة الصور البيانية

تمثل الصورة في أبسط تعريفاتها "رسم قوامه الكلمات" [30] ويعبر هذا المصطلح عن كل ما له صلة بالتعبير الحسي [31] أما البيان فهو "معرفة إيراد

المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضع الدلالة عليه، وبالنقصان لتحرز بالوقوف على ذلك الخطأ في مطابقة الكلام ولتمام المراد فيه"(32)، وعليه فالصورة البيانية تشمل فنون البيان من حيث التشبيه والاستعارة والكناية

آ – التشبيه

يتمثل التشبيه في "العقد على أن يكون أحد الشيئيين يسد مسد الآخر في حس أو عقل" (33) أي أن أحد الموضوعيين ينوب مناب الآخر عن طريق أداة التشبيه(34) ويحتاج التشبيه إلى وجه الشبه: وهو "المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخيلاً"(35)

ومن أمثلة وصف الجنة عن طريق التشبيه حديثه ﷺ : (أن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء،لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)(36)

يقدم نص الحديث مشهداً رائعاً بالصورة التشبيهي ة للأمر الغيبي، فالمشهد البصري "تجسد في فعل الرؤية (يتراءون) الذي أعطى حركة وإثارة تصويرية لطرفين هما (أهل الجنة؟ أهل الغرف)" (37)، فأهل الجنة في منزلة أدنى من أهل الغرف، فهم يتطلعون إليهم، ويرفعون رؤوسهم إلى جمال تلك المنزلة المضيئة، وهم يتلهفون للرؤية ، فالرائي في الجنة يرى صاحب الغرفة برؤية الرائي للكوكب الدري المستضيء الباقي في جانب الشرق أو الغرب في الاستضاءة مع السعداء وأهل الغرف ينظرون إلى أهل الجنة بحكم العلو الذي هم فيه.

ومن أمثلة وصف النار عن طريق التشبيه حديثه ﷺ: (لسرادق النار أربعة جَدُر كُثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة)(38)

يأتي التشبيه في نص الحديث لوصف سرادق النار الذي هو بالأصل أربعة جدر كثف جدا ، فالمشبه (كل جدار) والمشبه به (مسيرة أربعين سنة) بأداة

التشبيه (مثل). والجامع بين الجدار والسير بعد المسافة مما يوحي بهول عذاب النار، فإذا كان كل جدار بمسيرة أربعين سنة فمتى تنتهي سرادق النار. يعطي هذا التشبيه دلالة على عظم السرادق الذي سيكون فيه عذاب الكافرين إذ عبرت هذه الصورة التشبيهية عن أبشع مكان يناله الكافر البعيد عن الله سبحانه وتعالى.

فإذا كانت الصورة التشبيهية لأهل الجنة في غاية الجمال من خلال الكوكب الدري الغابر في الأفق؛ فإن سرادق النار جاء بصورة بشعة من حيث مساحته وتفاصيل مكوناته من الجدار الكثيف للإيحاء بأعلى درجات العذاب. وإذا كانت أداة التشبيه في وصف الجنة (الكاف) فإن أداة التشبيه في وصف النار (مثل) وفي ذلك دلالة على أن (الكاف) جاءت لتعبر عن تراءي الكوكب الدري كصورة بصرية وهم في مكانهم في حين جاءت (مثل) للتعبير عن بعد المسافة أي العذاب من خلال مسيرة أربعين سنة.

ب - الاستعارة

تعرف الاستعارة بأنها "ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل" [39] وتحصل من التفاعل أو التوتر بين بؤرة المجاز والإطار المحيط بها[40] وهي غاية الصورة وتؤدي وظائف مهمة هي الإخبار والإمتاع والتأثير[41]

ومن أمثلة وصف الجنة عن طريق الاستعارة حديثه ﷺ : (واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)[42]

تعد هذه الصورة الاستعارية من أشدها عمقاً في الدلالة لعذوبة ألفاظها وقوتها فضلاً عن جمال الوصف الذي أنتجته إذ إن "الحروف تتراقص مع حركة السيوف، وعند فحص بنية الحديث تجدها في تشكيلها للصورة قائمة على الاستعارة التصريحية"[43] إذ استعير الدال (ظلال) وهو طرف الصورة (المشبه به) للدال الذهني المشبه (أثر السيوف الكثيرة) الذي يفهم من سياق نص الحديث، فقد

أصبح للسيوف بفعل الكثرة ظلالاً، وعليه يكون نيل الجنة بكثرة ظلال السيوف من خلال الصبر والثبات في سبيل الله تعالى الذي يناط به النصر.

ومن أمثلة وصف النار عن طريق الاستعارة حديثه (ﷺ): (اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضاً، فإذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحرَّ وأشد ما تجدون من الزمهرير)[44]

تعبر الاستعارة المكنية الواردة في نص الحديث عن قمة حر النار إذ شبه رسول الله (ﷺ) النار بكائن حي وحـذف المشبه به وأبقـى لازمة مـن لوازمه (اشتكت) دليلاً عليه، وبهذا وصفت النار عن طريق تشخيصها إذ تحول الجماد إلى ناطق. وهذا ما توحي به الاستعارة المكنية من شكاية النار لله تعالى كأنها تعبر عما تعانيه بحيث أكل بعضها البعض الآخر؛ فإذا كانت الاستعارة التصريحية في وصف الجنة جعلت نيلها بكثرة ظلال السيوف دلالة على المجاهدين الذين يجتمعوا بعضهم إلى بعض بشكل متراص فتصبح السيوف بأيديهم ظلاً، فإن الاستعارة المكنية لشكاية النار تعطي دلالة على قمة المعاناة للنار فكيف الداخل إليها، فإذا هي تشتكي من الحر، فماذا يفعل الكافر الذي يدخلها. وقد حققت الاستعارتان وظائف على مستوى النص إخباراً عن نيل الجنة وشكاية النار فضلاً عن التأثير في النفس ترغيباً وترهيباً.

ج - الكناية

تعني الكناية "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له وباللغة، ولكن يجيء إلى المعنى تاليه ورد في الوجود فيوحي به إليه ويجعله دليلاً عليه"[45] أي يقصد بالكناية "لفظ أريد به لازمة معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ" [46] أي تعتمد الكناية في حيويتها التصويرية على الإيحاء والتلميح والترميز والإشارة[47] .

ومن أمثلة وصف الجنة عن طريق الكناية حديثه (ﷺ): (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[48]

تعبر الكناية في نص الحديث عن موصوف هو نوع خاص من النعيم في الجنة يفوق تصور البشر من رؤية وسماع وذاكرة ولكن مع وضع شرط لمن يستحق هذا النعيم (عباد الله الصالحين) فهؤلاء سينالون ما لم يروه في حياتهم الدنيا قط، وما لم يسمعوه في مجالسهم مطلقاً، وما لم يخطر على بالهم ولا على فكر أي بشر من خلق الله تعالى.

ومن أمثلة وصف النار عن طريق الكناية حديثه (ﷺ): (أن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة بأن تُوضعُ في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه)[49]

تدل الكناية في نص الحديث عن موصوف هو أهون عذاب النار لتوحي بشدة العذاب ووقعه، فإذا كان أهون العذاب جمرتان توضع في أخمص القدم تعملان على غلي الدماغ، فماذا يكون أشد العذاب وفي ذلك ترهيب بالعذاب الهين ليقيسه الكافر بالعذاب الصعب.

فإذا كانت الكناية لوصف الجنة بنعيمها الذي لا ينتهي من لذائذ حسية ومعنوية من أنواع الطعام والشراب والنساء والرضوان والاحترام، فهذا النعيم تستلذ وتقر بمشاهدته نفوس أهل الجنة وتستطيبه العقول السامية، فإن الشقاء في النار قد جاء للتعبير عن أهونه للدلالة به على أصعبه. وقد جاءت الكناية في النصين السابقين عن صفة للنعيم وللشقاء في مكانين هما الجنة والنار، فالأو ل خير نعيم في مكان أليف مستقر للمتقين الفائزين برحمة الله تعالى. أما الثاني فهو شقاء أعد للكافرين البعيدين عن رحمة الله تعالى جزاءً لأعمالهم في الحياة الدنيا.

2 – دلالة الصور البديعية

يقصد بالبديع " ما يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته" (50). وعليه فالصورة البديعية تشمل فنون البديع من المقابلة والطباق والجناس وغيرها من الفنون الأخرى.

آ – المقابلة (التقابل)

تعني المقابلة: "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثم بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب" (51) فالمقابلة أعم من المطابقة وهي "التنظير بين شيئيين فأكثر، وبين ما يخالف وما يوافق فبقولنا وما يوافق صارت المقابلة أعم من المطابقة، فإن التنظير بين ما يوافق ليس بمطابقة"(52)

ومن أمثلة وصف أهل الجنة عن طريق المقابلة حديثه (ﷺ): (إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون وانتم والله ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً)(53)

يعرض نص الحديث مقابلة بين موقفين لأهل الجنة الأول: عندما تهب ريح الشمال فيكونون على أعلى درجات الحسن والجمال، أما الموقف الثاني فيكون بعد رجوعهم إلى أهليهم فيكونوا على زيادة من الحسن والجمال، فقد تقابلت الصورتان لتأكيد ما عليه أهل الجنة من السعادة والراحة النفسية فضلاً عن جمالهم وحسنهم الذي كافأهم به الله تعالى جزاء أعمالهم الصالحة وتقواهم وإيمانهم.

ومن أمثلة وصف أهل النار عن طريق المقابلة حديثه (ﷺ): (صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء

كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوس كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)[54]

يقدم نص الحديث مقابلة بين أنموذجين من أهل النار الأول أصحاب السياط وهم غلمان والي الشرطة، أما النموذج الثاني فيعبر عن فساد النساء فهن كاسيات من نعمة الله تعالى وعاريات من شكرها، وكاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير والاعتناء بالطاعات، فهن يكشفن أبدانهن إظهاراً لجمالهن ويلبسن ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها. وهن مائلات مميلات أي زائفات عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها، وهن مميلات إلى الرجال ومن هؤلاء من يعظمن رؤوسهن بالخمر والعمائم فتبدو كأسنمة البخت.

فإذا كانت المقابلة لأهل الجنة تزداد حسناً وجمالاً ، فإن أهل النار لا يدخلون الجنة مطلقاً من تشكل نماذجهم من أصحاب السياط والنساء الكاسيات العاريات الجميلات المائلات رؤوسهن. وفي ذلك تظهر المقابلة، النعيم بالجنة والشقاء في النار فأهل الجنة يزدادون حسناً وجمالاً على عكس أهل النار يزدادون سوءاً وقبحاً. وتتشكل مقابلة أخرى هي كيف وصل هؤلاء إلى الجنة والآخرون إلى النار بسبب أعمالهم الصالحة لأهل الجنة، والطالحة لأهل النار وبهذا تعمل المقابلة على إعطاء أبعاد متعددة لأهل الجنة والنار من حيث أوصافهم وأعمالهم وأمكنة وجودهم.

ب – الطباق (التطبيق، التضاد، التكافؤ)

يقصد بالطباق "كل كلام جمع فيه بين الضدين مطابقة وطباقا" [55] وعليه فالطباق هو الجمع بين الضدين كالإيراد والإصدار والليل والنهار والبياض والسواد [56] ومن أمثلة وصف الجنة عن طريق الطباق حديثه (ﷺ) : (رفعت إلى السدرة فإذا أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأما الظاهران فالنيل والفرات، وأما الباطنان فنهران في الجنة)[57].

جمع الطباق في نص الحديث بين وضعين للنهرين كل على حده، (ظاهران، باطنان) للدلالة على التجلي والخفاء للأنهار الأربعة، فالنهران الظاهران معروفان هما النيل والفرات. أما الباطن فغير معروفين . وعليه فقد جمع النص بين ضدين من حيث الرؤية البصرية للتعبير عن القيمة الجمالية التي يتلمسها المتلقي.

ومن أمثلة وصف الجنة عن طريق الطباق حديثه (ﷺ): (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)[58]

أتى نص الحديث السابق بطباق بين الألوان (الفضة) (الذهب) من خلال الرؤية الحسية، فالجنتان الأوليان من فضة بمكوناتهما جميعاً، وكذلك الجنتان الأخريان من ذهب بمكوناتها جميعاً. فالمتأمل لما تعطيه الأوصاف من المغايرة في اللون الفضي والذهبي يتلمس جمالية التعبير في وصف مكان النعيم أي من خلال لونين يختلف أحدهما عن الآخر عن طريق الرؤية الحسية.

ومن أمثلة وصف النار عن طريق الطباق حديثه (ﷺ): (اشتكت النار إلى ربها فقالت: ربِّ أكل بعضي بعضاً فإذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير)[59]

جاء الحديث السابق بنموذجين من الطباق الأول عن حالة الجو والشعور به (الشتاء، الصيف). والثاني عما ينتجه الفصلان من شعور بـ(الحر، الزمهرير)، فجاء الطباق الثاني لتكميل الأول في صورة شعورية للتعبير عن الشقاء في النار بعد أن اشتكت النار من أكل بعضها البعض الأخر، فإذن الله تعالى لها بنفسين في الشتاء والصيف.

ومن أمثلة وصف النار عن طريق الطباق حديثه (ﷺ): (أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أبيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أسودت فهي سوداء مظلمة)[60]

يعبر الطباق في نص الحديث عن صفة النار من خلال إيقادها لثلاثة الآلف سنة بطريق اللون (أحمرت) (أبيضت) (أسودت) للتعبير عن المراحل التي تصل إليها؛ فالمرحلة الأولى الاحمرار ثم الابيضاض ثم الاسوداد والمرحلة الرابعة (السواد المظلم) وفي ذلك إيحاءً بقمة الشقاء الذي سيعانيه داخل هذا المكان الذي أعد للكافرين العاصين الله تعالى غير الملتزمين بأوامره ونواهيه.

ج – الجناس (التجنيس، المجانسة، التجانس)

الجناس هو أن "تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناهما"[61]

ومن أمثلة وصف الجنة عن طريق جناس الاشتقاق حديثه (ﷺ): (في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون)[62]

في نص الحديث جناس اشتقاق عن طريق المفرد والجمع (باب/ أبواب) إذ عمل هذا الجناس على إعطاء قيمة جمالية للمتلقي من خلال استخدامه للإيحاء بأبواب الجنة الثمانية والباب الخاص للصائمين الذي أطلق عليه تسمية (الريان) مقابلة للصوم الذي يؤدي إلى العطش والتعب فجاءت التسمية جزاءً لهذا بوصف يوحي بالارتواء والراحة النفسية.

ومن أمثلة وصف أهل الجنة عن طريق جناس الاشتقاق حديثه (ﷺ): (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح ، ثم ينادي هنا: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم)[63]

يحوي نص الحديث نموذجين من جناس الاشتقاق (يُنادي/ منادِ) (فرحا/ فرحهم) عمل على إعطاء لمسة جمالية للنص من خلال التقارب بين الجناس

الأول في نداء أهل الجنة ومن خلال الجناس الثاني الذي يدل على بعض الفرح ثم فرح الجميع. وهذا من نعيم الجنة دلالة على الراحة النفسية والهدوء.

ومن أمثلة وصف النار عن طريق جناس الاشتقاق حديثه (ﷺ): (الصّعُود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوي كذلك فيه أبدا)[64]

جاء جناس الاشتقاق في نص الحديث لتصوير مشهد من مشاهد النار وهو الجبل الذي يصعده الكافر عن طريق لفظتين (الصعود/ يتصعد) دلالة على المشقة والتعب في بلوغ الجبل الذي هو في النار فيتحول العذاب إلى عذابين في تصعد الصعود مما يلقي بظلاله على الشقاء الخالد والشعور بالألم والفشل في تردي الكافر من الجبل بعد قضاء سبعين خريفاً في هذا الموضع.

ومن أمثلة وصف النار عن طريق الجناس حديثه (ﷺ): (أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أبيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أسودت فهي سوداء مظلمة)[65] .

أعطى جناس الاشتقاق في نص الحديث ترهيباً من النار في مرحلتها الأخيرة من خلال (أسودت/ سوداء) فبعد أن أُوقدت النار ثلاثة آلاف سنة تصبح النار في شكل الاسوداد وشدته ثم تكون سوداء فضلاً عن كونها مظلمة إيحاءً بالهول والتعذيب.

المبحث الثاني

المستوى التركيبي

يقوم المستوى التركيبي بالكشف عن تركيب الأفعال والجمل مما له الأثر في بيان ما احتواه النص من تركيبات تعمل على تماسكه والتحام عناصره.

1 – تركيب الأفعال

يحوي الوصف عن الجنة والنار أفعالاً متنوعة من حيث الزمن والمعنى، فمن حيث الزمن هناك نمطان؛ الفعل الماضي والفعل المضارع أما من ناحية المعنى فتأتي الأفعال في مستويات عدة للتعبير .

آ – زمنية الأفعال

ومن أمثلة وصف الجنة عن طريق زمن الأفعال حديثه (ﷺ): (بينما أنا اسيُر في الجنة، إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدَر المجوف، قلتُ، ما هذا يا جبريل، قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه ، أو طينه مسك أذفر)[66]

يعبر نص الحديث عن زمنية الأفعال من خلال الفعل المضارع في حكاية الرسول (ﷺ): (اسيُر، قلتُ) ومن الفعل الماضي في نقل أقوال جبريل عليه السلام (قال). وقد عبرت زمنية الأفعال عن وصف شراب الجنة (حوض الكوثر طيب الطعم) الذي وهبه الله تعالى لنبيه والذي يتسم بأن طينه أو طيبه من المسك الأذفر طيب الرائحة.

ومن أمثلة وصف النار عن طريق زمن الأفعال حديثه (ﷺ): (إن الجحيم ليصب على رؤوسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوفه، فيسلق ما في جوفه حتى عرق من قدميه وهو الصهر ثم يُعاد كما كان)[67]

يعبر نص الحديث عن زمنية الأفعال لوصف عذاب النار (الجحيم) بالفعل المضارع (يصبُ/ ينفذُ/ يخلص/ يسلقُ/ عرق/ يُعاد) ومن ثم في نهاية الحديث يأتي الفعل الماضي (كان) للدلالة على إعادة الحدث إيحاءً باستمراريته من حيث الصب والنفاذ.

ب – مستويات الأفعال

ومن أمثلة وصف الجنة عن طريق مستويات الأفعال حديثه (ﷺ): (بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت لمن هذا القصر، فقالوا لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته فوليت مدبراً)(68)

تعددت مستويات الأفعال في نص الحديث من المفرد المتكلم (رأيتني) إلى المفردة الغائبة (تتوضأ) إلى المفرد المتكلم (قلت) إلى الجمع المتكلمين (قالوا) إلى الغائب المفرد (ذكرت) إلى المفرد المتكلم(وليت) وهذا يدل على نعيم الجنة الذي ينتقل فيه رسول الله (ﷺ) عبر عدة صيغ من المتكلم والغياب مفرداً وجمعاً.

ومن أمثلة وصف النار عن طريق مستويات الأفعال حديثه (ﷺ): (تخرج عُنِق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأُذنان تسمعان ولسان ينطق.
ويقول: إني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين)(69)

تنوعت مستويات التعبير عن النار من المفردة الغائبة (تخرج) إلى المثنى الغائبة المؤنثة (تبصران/ تسمعان) والغائب المذكر(ينطق) إلى المتكلم (وكلت) في سياق الحديث عن داخلي الجنة الجبار العنيد والعابد غير الله والمصورين ويأتي هذا على اللسان الناطق لعنق النار.

2 – تركيب الجمل

تعد الجملة الوحدة الرئيسة للمعنى الذي تعبر عن فكرة تامة (70) إذ تحتوي الجملة على مكونين هما:(71) البنى الخارجية أو الشكلية ويدرسها علم الفونولوجيا والبنى الداخلية أو الضمنية ويدرسها علم الدلالة

آ – الجمل التوليدية

تقع الجمل التوليدية في إطارين كبيرين هما:[72]

1 – توليدية اسمية آ – اسم معرفة + اسم نكرة

ب – اسم استفهام + اسم معرفة

ج – شبه جملة + اسم نكرة

2 – توليدية فعلية آ – فعل + اسم مرفوع أو ما يسد مسده

ب – فعل + اسم مرفوع + اسم + اسم + اسم

1 – الجملة الاسمية التوليدية

يقصد بالجملة الاسمية ما يتصدرها اسم صريح أو مؤول في محل رفع أو اسم فعل أو يتصدرها حرف مشبه بالفعل[73].

ومن أمثلة الجمل الاسمية التوليدية في وصف الجنة حديثه (ﷺ): (ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد خير من الدنيا وما فيها)[74]

يعبر عن وصف الجنة في نص الحديث بجملة اسمية توليدية تكونت من خبر مقدم (لقاب) لمبتدأ مؤخر (قوس أحدكم) للتعبير عن الموضع الذي يصفه بأنه خير من الدنيا وما فيها، فجاءت الجملة بعيدة عن عناصر التحويل لتدل على المعنى المباشر الصريح.

ومن أمثلة الجمل الاسمية التوليدية في وصف النار حديثه (ﷺ): (منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار إلى حنجرته ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته)[75]

جاءت الجملة الاسمية التوليدية في النص للتعبير عن وصف درجات العذاب في النار من خلال شبه الجملة في محل رفع خبر مقدم (منهم) وتكرارها لأربع مرات وما بعدها المبتدأ (من تأخذه النار) بعيداً عن عناصر التحويل لتقديم

هذه الدرجات بأسلوب مباشر صريح يركز على أعضاء جسم الذي يتعذب في النار.

2 – الجملة الفعلية التوليدية

يقصد بالجملة الفعلية التي يتصدرها فعل تام أو ناقص[76]

ومن أمثلة الجملة الفعلية التوليدية في وصف الجنة حديثه (ﷺ): (يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر)[77]

ابتدأ نص الحديث بجملة فعلية عن طريق الفعل المضارع (يدخلُ) من دون استباقه بأي عنصر من عناصر التحويل للتأكيد على دخول الزمرة الخاصة إلى الجنة التي تتكون من سبعين ألفاً يتميزون بوضاءة وجوههم التي تشبه ضوء القمر. مما يوحي بعظم هذه المنزلة التي هيأها الله تعالى لعباده الصالحين.

ومن أمثلة الجملة الفعلية التوليدية في وصف النار حديثه (ﷺ): (يُقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أوتي منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه)[78]

يعمل نص الحديث على تقديم عذاب النار بالحميم من خلال البدء بفعل مضارع مبني للمجهول (يُقرب) للدلالة على البدء بعذاب الجحيم إذ يقرب إلى فم الإنسان ثم يبدأ شواء وجهه ومن ثم تقع الفروة لذا تم التعبير عن مراحل العذاب بالحميم بجملة فعلية تؤكد اقتراب العذاب من الكافر.

ب – الجمل التحويلية

هي الجمل التي تتم بعناصر التحويل: الترتيب والزيادة والحذف والحركة الإعرابية والتنغيم[79]

1 - الجملة الاسمية التحويلية

ومن أمثلة الجمل الاسمية التحويلية في وصف الجنة حديثه (ﷺ): (أن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له تمن فيتمنى)[80]

يعبر نص الحديث عن نعيم الجنة بجملة اسمية استخدمت عنصراً من عناصر التحويل (أن) للتأكيد على مقعد داخل الجنة في الحد الأدنى إيحاءً بالترغيب في العمل الصالح لدخول الجنة التي فيها إن يُقال تمنى في أقل تقدير فكيف النعيم الكلي .

ومن أمثلة الجمل الاسمية التحويلية في وصف النار حديثه (ﷺ): (إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس)[81]

يدل نص الحديث عن البدء بعذاب النار بسحب لسان الكافر لمسافة بعيدة جداً جزاء أعماله الطالحة بجملة اسمية استخدمت عنصراً من عناصر التحويل (أن) زيادة في تأكيد القول وإيحاءً بقمة العذاب وقسوته على الكافر وتقديم صورة تتغير من الواقع الذي سيصله البعيد عن الله تعالى.

2 – الجملة الفعلية التحويلية

ومن أمثلة الجمل الفعلية التحويلية في وصف الجنة حديثه (ﷺ): (إذا صار أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار)[82]

جاءت الجملة الفعلية للتعبير عن أهل الجنة واختبارهم بأداة الشرط (إذا) وجوابها (جيء) فإذا صار أهل الجنة في مكانهم سوف يتم المجيء بالموت، فالشرط يشرط ويأتي الجواب وبعده للتعبير بهذا التحويل عن الحدث الجسيم لاختيار أهل الجنة بالموت.

ومن أمثلة الجمل الفعلية التحويلية في وصف النار حديثه (ﷺ): (إذ سمع وجبة فقال: تدرون ما هذا، قلنا: الله ورسوله أعلم قال: هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفاً)[83]

تعبر الجملة الفعلية عن وصف النار بالحجر الذي يرمى فيها من سبعين خريفاً عن طريق أداة الشرط (إذ) ليأتي الجواب بعد الأسئلة بقول رسول الله (ﷺ)

لتوضيح سماع الوجبة أي سقوط مفاجئ عالٍ فينطق الرسول بأن ما سمعوه هو حجر رمي في النار للتعبير عن شدة النار وقسوتها وعذابها باستخدام عنصر من عناصر التحويل.

المبحث الثالث

المستوى الصوتي

يتشكل المستوى الصوتي في النص من خلال الإيقاع الذي يشمل "جل العناصر التي يتألف منها النص، وتوزعها في مقاطع أو فواصل زمنية تتبع من توزع عناصر الإيقاع، وهذا الترتيب الذي يعتمد على علاقات التتابع والتوالي ليشكل الأسلوب" [84]، ويأتي هذا الإيقاع من جرس الألفاظ وتناغم العبارات واستعمال الأسجاع وسواها من الوسائل الموسيقية كالتكرار والتجمع الصوتي.

1 – التكرار

يقصد بالتكرار "أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو التهويل أو الوعيد"[85] ويعمل صوت الحروف على تشكيل النغمات بما تمتاز به من تقطيع وتنغيم[86] لذا يعمل التكرار على إعطاء حيوية للإيقاع من خلال تكرار الوحدات وتناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير[87].

آ – تكرار الحروف

ومن أمثلة تكرار الحروف لوصف الجنة حديثه (ﷺ): (أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يتمخطون ولا يتغوطون) [8]

جاء تكرار (لا) النافية لثلاث مرات ليقدم إيقاعاً موسيقياً محبباً من خلال تكراره المتقارب للإيحاء لعدم وجود حالات الدنيا في الجنة من البصاق والمخاط والتغوط وللدلالة على نعيم الله تعالى لداخلي الجنة.

ومن أمثلة تكرار الحروف لوصف النار حديثه (ﷺ): (منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار إلى حنجرته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته)[89] .

شكل تكرار حرف الجر (من) وحرف الاستفهام (من) إيقاعاً أضفى على الصورة تفصيلاً لدرجات العذاب بتوافقها مع أعضاء جسم الإنسان من الأسفل إلى الأعلى.

ب – تكرار الكلمات

ومن أمثلة تكرار الكلمات لوصف الجنة حديثه (ﷺ): (ليدخلن من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف لا يدخل أولهم حتى يدخل أخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر)[90].

شكل تكرار الكلمات في نص الحديث بعدا إيقاعيا من خلال أصوات الكلمات المتكررة (ليدخلن/يدخل)(سبعون/سبعمائة)(ألفا/ألف)للدلالة على عظم داخلي قيمة داخلي الجنة وجمالهم إذ إن وجوههم على هيئة القمر عندما يكون بدراً وبذلك توافق الصوت والمعنى لتحقيق قيمة جمالية تتأتى من تكرار الكلمات المتقاربة في النطق.

ومن أمثلة تكرار الكلمات لوصف النار حديثه (ﷺ): (ناركم هذه الذي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم ، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها)[91]

أعطى تكرار الكلمات في النص بعداً إيقاعياً منسجماً مع المعنى المتأتي منه وهو أجزاء النار التي تتساوى في الحر من خلال (جزء/ جزءا/ جزءاً) (حر/ حرها) للإيحاء بسعة النار من خلال الأجزاء السبعين الذي يمثل كل جزء بحره النار كلها.

2 – التجمع الصوتي

يتولد التجمع الصوتي في النص من خلال الأصوات بالحروف والكلمات والجمل بما يسمى بالجرس، ولكل منها جرس خاص بها إذ ان جرس الحروف في صوتها المفخم يختلف بحسب المخارج والجرس ونغمة الصوت[92]

آ – التجمع الصوتي بالحروف

ومن أمثلة التجمع الصوتي بالحروف في وصف الجنة حديثه (ﷺ): (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)[93]

تشكل نص الحديث من تجمع صوتي بحرف (الجيم) للدلالة به المكان (الجنة) من خلال الكلمات: (جنتتان/ جنتان/ وجهه/جنة) وللإيحاء بعظم الجنات وتنوع أنماطها من حيث اللون والمادة والاسم فضلاً عن التناسق في محتويات كل جنة عن طريق التجمع الصوتي ليتحد الصوت والمعنى في تقديم وصف يقدم المظاهر الحسية للمكان الموصوف.

ومن أمثلة التجمع الصوتي بالحروف في وصف النار حديثه (ﷺ): (اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضاً فإذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فهو اشد ما تجدون من الحر واشد ما تجدون في الزمهرير)[94]

احتوى نص الحديث على تجمع صوتي بحرفي (الشين والسين) من خلال الكلمات الآتية: (اشتكت/ أشد/ أشد) (نفسين/ نفس/ نفس) للدلالة على شدة العذاب وسرعته، فالنار نفسها اشتكت مما تعانيه فكيف سيكون موقف الكافر الذي سيدخل هذا المكان المضطرم بالحر الشديد؛ فاتفق المعنى والصوت لتقديم صورة حسية عن طريق تشخيص النار وجعلها كائناً حياً يشتكي من الويل والعذاب:

ب – التجمع الصوتي بالكلمات

ومن أمثلة التجمع الصوتي بالكلمات في وصف الجنة حديثه (ﷺ): (إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له تمن فيتمنى فيقول له هل تمنيت فيقول له فإن لك ما تمنيت ومثله معه)[95]

أدى التجمع الصوتي في وصف الجنة من خلال الكلمات(تمن/يتمنى/تمنيت/تمنيت) بعداً نفسياً في شعور داخل الجنة بأن له كل ما يتمنى في أدنى مقعد له فضلاً عن المعنى الذي يدل على النعيم المتجدد من خلال توافق التعبير الصوتي مع دلالات المعنى التي تؤكد كثرة النعيم وتجدده.

ومن أمثلة التجمع الصوتي بالكلمات في وصف النار حديثه (ﷺ): (ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث)[96]

يعمل التجمع الصوتي من خلال كلمة (الكافر) على وصف عذاب النار من خلال ذكر متعلقات هذا الكافر (ناب/ ضرس/ جلد) فضلاً عن السير بأقدامه نحو العذاب، فقد أعطى التجمع بعداً إيقاعياً صوتياً فضلاً عن المعنى الذي يقودنا إلى الكفر والكافرين وكل مشتقات الجذر (ك.ف.ر) التي تدل على مكانته المتردية عند الله تعالى فيكافأ بموضع يناسب كفره يجد فيه العذاب الخالد لأجزاء جسمه.

خاتمة البحث ونتائجه

بعد الانتهاء من الدراسة الأسلوبية الموازنة لجماليات وصف الجنة والنار في الحديث النبوي الشريف توصل البحث إلى النتائج الآتية :

- ❖ انضوت دلالة الصور البيانية في الحديث النبوي الشريف من خلال فنون التشبيه والاستعارة والكناية، فإذا كانت الصورة التشبيهية لأهل الجنة في غاية الجمال من خلال الكوكب الدري فإن سرادق النار جاء بصورة بشعة من حيث مساحته وتفاصيل مكوناته للإيحاء بأعلى درجات العذاب، وجاء التشبيه بصورة

بصرية بأداة التشبيه (الكاف) لتعبر عن تراءي الكوكب الدري في حين عبر عن النار وبعد المسافة بأداة التشبيه (مثل). وإذا كانت الاستعارة التصريحية في وصف الجنة جعلت لنيلها بكثرة السيوف، فقد جاء وصف النار باستعارة مكنية عملت على تشخيص النار وجعلها تشتكي. وقد حققت الاستعارتان وظيفة الإخبار عن نيل الجنة وشكوى النار فضلاً عن وظيفة التأثر في النفس ترغيباً وترهيباً. أما الصورة الكنائية في وصف الجنة والنار فقد جاءت للتعبير عن موصوف من حيث نعيم الجنة الذي لا ينتهي من لذائذ حسية ومعنوية، وشقاء النار في التعبير على أهونه فكيف بأصعب عذابها.

❖ جاءت دلالة الصور البديعية في الحديث النبوي الشريف من خلال فنون المقابلة والطباق والجناس ، فعلى مستوى المقابلة في وصف أهل الجنة فقد جاءت لزيادة الحسن والجمال في كل موقف نعيم عكس أهل النار الذين يخلدون بالشتاء ويزدادون سوءاً وقبحاً فضلاً عن تشكل مقابلة أخرى هي كيف وصل هؤلاء إلى الجنة والآخرين إلى النار بسبب أعمالهم الصالحة والطالحة. أما الطباق فقد عمل على إعطاء الجمالية في التعبير عن طريق الضدين كما في وصف النهرين الظاهرين والباطنين وجنات الذهب والفضة من حيث التجلي والخفاء واللون. أما صور الطباق في وصف النار فقد جاء لوصف حالات الجو (الصيف/ الشتاء) والشعور بهما (الحر/ الزمهرير) أو مراحل إيقاد النار وتحولها إلى الاحمرار والبياض ثم السواد المظلم. وعمل الجناس ولاسيما الاشتقاق منه على تقديم القيم الجمالية للمتلقي في الشعور بالنعيم أو الشتاء من ذلك استخدام المفرد والجمع (باب/ أبواب) للتعبير عن الجنة، أو (الصعود/ يتصعد) للتعبير عن النار.

❖ تشكل تركيب الأفعال في الحديث النبوي الشريف من خلال زمنيتها ومستوياتها، فقد عبر عن الجنة والنار من خلال الفعل المضارع والماضي

للتعبير عن شرابي الجنة والنار للدلالة بذلك على النعيم المستمر والشقاء الخالد. وتنوعت مستويات الأفعال من المفرد المتكلم إلى المفردة الغائبة إلى المفرد المتكلم إلى جمع المتكلمين إلى الغائب المفرد إلى المتكلم المفرد للدلالة على نعيم الجنة الذي ينتقل به رسول الله (ﷺ) عبر عدة صيغ من التعبير، أو تنوع مستويات التعبير عن النار من المفردة الغائبة (عنق النار) الى الغائب المذكر (اللسان) ليذكر صفات داخلي الجنة الجبار العنيد والعابد لغير الله والمصورين. وتنوعت الجمل الاسمية والفعلية ما بين التوليد والتحويل لتقديم الوصف المباشر الصريح من دون استخدام عناصر التحويل أو استخدامها لتأكيد الموقف أو شرط الشرط ثم الإتيان بجوابه فيما يتعلق بتثبيت النعيم والعذاب على داخلي الجنة أو النار.

❖ تشكل المستوى الصوتي من خلال التكرار والتجمع الصوتي بالحروف وبالكلمات، فعلى مستوى تكرار الحروف فقد جاءت (لا) لثلاث مرات في التعبير عن عدم وجود حالات الدنيا على داخلي الجنة من البصاق والمخاط والتغوط، فضلاً عن تكرار حرف الجر (مِن) وحرف الاستفهام (مَن) لتفصيل درجات العذاب في النار مع ذكر أعضاء جسم المتعذب من الأسفل إلى الأعلى. وقد توافق الصوت والمعنى لتحقيق قيمة جمالية تتأتى من تكرار الكلمات المتقاربة في النطق. أما تكرار الكلمات فجاء من خلال الأصوات المتكررة لإعطاء البعد الإيقاعي كما في تكرار (ليدخلن/ يدخل) (سبعون/سبعمائة) (ألفا/ألف) للوصف أهل الجنة الداخلين إليها، أو تكرار (حر/حرها) للإيحاء بعظم العذاب في النار والإيحاء بسعتها وان كل جزء من السبعين يمثل النار كلها.

❖ أضفى التجمع الصوتي في وصف الجنة والنار بعداً إيقاعياً صوتياً توافق مع المعنى والدلالات المستحصلة منه، فعلى مستوى التجمع الصوتي بالحروف جاء حرف (الجيم) وحرفي (الشين والسين) للتعبير عن الجنة من حيث عظمها

وتنوع أنماطها لوناً ومادة واسماً فضلاً عن تناسق محتوياتها. أما حرفا الشين والسين فيوحيان بشدة العذاب وسرعته عن طريق تشخيص النار بكائن حي يشتكي من الويل والعذاب . أما التجمع الصوتي بالكلمات فجاء من خلال الكلمات (تمنى/ يتمنى/ تمنيت) للتعبير عن الحد الأدنى لنعيم الجنة وإيحاءً بالنعيم الأكبر المتجدد المتنوع. وأعطى التجمع الصوتي بكلمة (الكافر) من خلال ذكر متعلقات جسده (ناب/ ضرس/ جلد) بعداً إيقاعياً صوتياً فضلاً عن المعنى الذي يقودنا إلى تذكر كل مشتقات الجذر (ك.ف.ر)

هوامش البحث

(١) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، دار صادر، بيروت، 1966، مادة (جمل): 263/7.

(٢) مسلم بن الحجاج القشيري ومحيي الدين بن شرف النوري، صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة المثنى، دار إحياء تراث الدين، ط 2، بيروت، 1972: 89/2.

(٣) ينظر: د. عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي: عرض وتفسير ومقارنة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط3، بغداد، 1986: 6.

(٤) ينظر: د. ماهر كامل، الجمال والفن، مكتبة الأنجلو المصرية، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1957: 17.

(٥) قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1948: 118.

(٦) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1981: 294/2.

(٧) عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية ، دار اليسر للنشر، المغرب، 1989: 6.

(٨) ينظر: وليد نجار، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، المكتبة الجامعية، مكتبة المدرسة، ط1، بيروت، 1985: 149.

(٩) ينظر: محفوظ، المصدر السابق: 12-13.

(١٠) د. موريس أبو ناضر، الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة، دار النهار للنشر، بيروت، 1979: 133.

(١١) أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1956، مادة (سلب): 10/119 – 120.

(١٢) ينظر: د. منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990: 30.

(١٣) ينظر: المصدر نفسه: 30.

(١٤) ينظر: أحمد الشايب، الأسلوب ، مكتبة النهضة المصرية، ط 7، القاهرة، 1986: 115.

(١٥) ينظر: كراهم هاف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: كاظم سعد الدين، سلسلة آفاق (1)، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، بغداد، 1985: 22.

(١٦) ينظر : بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: د. منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت. الدار البيضاء، 1994: 6 .

(١٧) عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية: نحو نقد ألسني بديل في النقد الأدبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا. تونس، 1977: 108.

(١٨) عياشي، المصدر السابق: 29.

(١٩) أبو العباس ثعلب الشيباني، كتاب الفصيح، تحقيق ودراسة. د. عاطف مدكور، سجل العرب، دار المعارف، القاهرة، 1984: 297.

(٢٠) ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت): 65.

(٢١) أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، مطبعة الرسالة ، القاهرة، 1958: 196/2.

(٢٢) المصدر نفسه: 202/2 .

(٢٣) أبو البقاء الكفوي، الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: د غسان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1979: 152.

(٢٤) ينظر: د. صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه: عرض ودراسة، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1959: 4.

(٢٥) المصدر نفسه: 5.

(٢٦) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ط 4 ، بيروت، 1974: 279.

(٢٧) بدر الدين العيني، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، (د.ت): 112/4.

(٢٨) بكري الشيخ أمين، أدب الحديث النبوي، دار الشروق، بيروت، (د.ت): 104.

(٢٩) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، 1982: 2.

(٣٠) د.ي. لويس، الصورة الشعرية، ترجمة: د. أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن إبراهيم، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982: 21.

(٣١) ينظر: مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس، ط 2، بيروت، 1981: 3.

(٣٢) أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، القاهرة، 1937: 77.

(٣٣) الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: د. محمد خلف احمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط 3، القاهرة ، (د.ت): 80.

(٣٤) أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1989: 261.

(٣٥) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (د.ت): 336/2.

(٣٦) أبو عبد الله محمد البخاري وأحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مكتبة دار السلام ،الرياض، دار الفيحاء، دمشق، ط 3، 2000: 145/4.

(٣٧) مازن موفق صديق الخيرو، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف – صحيح البخاري – رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، 2001: 41.

(٣٨) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت): 706/4.

(٣٩) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: هـ.ريتر، مكتبة المثنى، ط2، بغداد، 1979: 14 – 15.

(٤٠) ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1972: 257.

(٤١) ينظر: د. فايز الداية، جماليات الأسلوب: الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت، 1990: 141.

(٤٢) البخاري، المصدر السابق: 27/4.

(٤٣) الخيرو، المصدر السابق: 50، وينظر: محمد علي إبراهيم، الاستعارة في الحديث النبوي الشريف، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب/جامعة الموصل، 2001: 147.

(٤٤) البخاري، المصدر السابق: 146/4.

(٤٥) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1978.

(٤٦) القزويني، المصدر السابق: 318.

(٤٧) د.إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1997: 118.

(٤٨) البخاري، المصدر السابق: 385/6.

(٤٩) الترمذي، المصدر السابق: 2400/5.

(٥٠) القزويني/ المصدر السابق: 334.

(٥١) المصدر نفسه: 431.

(٥٢) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأدب، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت): 57.

(٥٣) مسلم، المصدر السابق: 182/17.

(٥٤) المصدر نفسه: 192/18.

(٥٥) ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، ط2، النجف، 1968: 32/2.

(٥٦) الحموي، المصدر السابق: 65.

(٥٧) البخاري، المصدر السابق: 89/10.

(٥٨) المصدر نفسه: 13/ 518.

(٥٩) الترمذي، المصدر السابق: 710/4.

(٦٠) البخاري، المصدر السابق: 397/6.

(٦١) يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1914: 356/2.

(٦٢) البخاري، المصدر السابق: 396/6.

(٦٣) المصدر نفسه: 505/11.

(٦٤) الترمذي، المصدر السابق: 703/4.

(٦٥) المصدر نفسه: 710/4

(٦٦) البخاري، المصدر السابق: 564/11.

(٦٧) احمد بن حنبل الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د.ت): 374/2.

(٦٨) البخاري، المصدر السابق: 382/6 – 383.

(٦٩) الترمذي، المصدر السابق: 701/4.

(٧٠) د. خليل احمد عمايرة، في التحليل اللغوي، مكتبة المنار، ط 1، الزرقاء – الأردن، 1987: 28.

(٧١) عياشي، المصدر السابق: 16.

(٧٢) ينظر: عمايرة، المصدر السابق: 42 – 43.

(٧٣) ينظر: المصدر نفسه: 42.

(٧٤) البخاري، المصدر السابق: 19/6.

(٧٥) مسلم، المصدر السابق: 187/17.

(٧٦) ينظر، عمايرة، المصدر السابق: 164.

(٧٧) مسلم، المصدر السابق: 90/3.

(٧٨) الترمذي، المصدر السابق: 75/4 أحمد، المصدر السابق:265/5.

(٧٩) ينظر: عمايرة، المصدر السابق: 88.

(٨٠) مسلم، المصدر السابق: 29/3.

(٨١) الترمذي، المصدر السابق: 704/4. أحمد ، المصدر السابق: 92/2.

(٨٢) البخاري، المصدر السابق: 505/11.

(٨٣) مسلم، المصدر السابق: 186/17.

(٨٤) خليل، المصدر السابق: 105.

(٨٥) ابن أبو الأصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر في بيان إعجاز القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1963: 375/3.

(٨٦) د. ماهر مهدي هلال: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980: 239.

(٨٧) المصدر نفسه: 239.

(٨٨) البخاري، المصدر السابق: 383/6.

(٨٩) مسلم، المصدر السابق: 187/17.

(٩٠) البخاري، المصدر السابق: 384/6.

(٩١) المصدر نفسه: 398/6.

(٩٢) هلال، المصدر السابق: 241.

(٩٣) البخاري، المصدر السابق: 518/13.

(٩٤) المصدر نفسه: 397/6.

(٩٥) مسلم، المصدر السابق: 29/3.

(٩٦) المصدر نفسه: 192/17.